هو على بابها وفيه حذف والمعنى انها اذا جاءت يؤمنون او لا يؤمنون وقيل ان بمعنى لعل في قوله انها اذا جاءت
وكذلك في قراءة ابي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا سائغ في كلام العرب تقول العرب ايت السوق انك تشتري
لنا شيئا بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد • اعاذل ما يدريك ان منيتي • الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد •
يعني لعل منيتي قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالايات
التي سالوها ما امنوا بها والتقليب هو تحويل الشيء وتحريكه عن وجه الى وجه اخر لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار
عن الايمان بقيت على الكفر كما لم يؤمنوا به اول مرة يعني كما لم يؤمنوا بما قبل ذلك من الايات التي جاء بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات الباهرة وقيل اول مرة يعني الايات التي جاء بها
موسى وغيره من الانبياء وقال ابن عباس المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الاخرة الى الدنيا نقلب افئدتهم
وابصارهم عن الايمان فلا يؤمنوا كما لم يؤمنوا به اول مرة قبل مماتهم وفي الاية دليل على ان الله تعالى يهدي
من يشاء ويضل من يشاء لان القلوب والابصار بيده وفي تصرفه فيقيم ما شاء منها ويزيغ ما شاء اراد منها ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يعني ونقلب افئدتهم فنزيغها عن الايمان ونقلب
ابصارهم عن رؤية الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الاية التي سالوها فلا يؤمنوا بها كما لم يؤمنوا بالله ورسوله
وبما جاء من عند الله فعلى هذا تكون الكناية في به عائدة على الايمان بالقران وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل سؤالهم الايات التي اقترحوها قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون يعني ونترك هولا المشركين
الذين سبق في علم الله انهم لا يؤمنون في تمردهم على الله واعتدائهم عليه يترددون لا يهتدون الى الحق قوله
عز وجل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة قال ابن جريج نزلت هذه الاية في المستهزئين وذلك انهم اتوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسئلهم عنك احق ما تقول ام
باطل وارنا الملائكة يشهدون لك انك رسول الله او ائتنا بالله والملائكة قبيلا فنزلت هذه الاية جوابا
لهم والمعنى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يشهدون لك بالرسالة وكلمهم الموتى يعني كما سالوا وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا يعني وجمعنا عليهم كل شيء قبلا قبيلا وقيل القبيل الكفيل بصحة ما يقولوا ما امنوا به وهو
قوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله يعني الا ان يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الاشياء بمشيئة الله
تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا انطق
الله الكل حتى يشهدون لك بصحة ما تقول كان ذلك في غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة
والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء مواجهة ومعاينة ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله اخبر الله ان الايمان بمشيئته
لا كما ظنوا انهم متى شاؤوا امنوا ومتى شاؤوا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليؤمنوا هم اهل الشقاء الا ان يشاء
الله هم اهل السعادة الذين سبق لهم في علمه انهم يدخلون في الايمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لان الله
عم بقوله ما كانوا ليؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية
ليؤمنن بها ثم استثنى منهم اهل السعادة وهم الذين شاء لهم الايمان قوله تعالى ولكن اكثرهم
يجهلون يعني يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون ان الايمان اليهم متى شاؤوا امنوا ومتى شاؤوا كفروا وليس
الامر كذلك بل الايمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاء له الايمان امن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا
دليل لمذهب اهل السنة ان الاشيا كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة في قولهم ان الله
اراد الايمان في جميع الكفار قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك
زينا لكل امة عملهم اي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبياء اعداء

كذلك

كذلك جعلنا لك اعداء وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له يقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك
بهولاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي عدوا قبلك ليعظم ثوابه على ما يكابده من اذى اعدائه وعدو واحد يراد به الجمع
يعني جعلنا لكل نبي اعداء شياطين الانس والجن اختلف العلماء في معنى شياطين الانس والجن على قولين احدهما
ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشياطين كل عات متمرد من الجن والانس وهذا قول ابن عباس
في رواية عطاء وهو قول مجاهد وعطا وقتادة قالوا وشياطين الانس اشد تمردا من شياطين الجن لان شيطان
الجن اذا عجز عن اغوا المومن الصالح واعياه ذلك استعان على اغوائه بشيطان الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا
القول ما روي عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الجن والانس
قلت يا رسول الله وهل للانس من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند واسنده
الطبري وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله ذهب
شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي القول الثاني ان الجميع من ولد ابليس واضيف الشياطين
الى الانس على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا
والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين فبعث فريقا منهم
الى الجن وفريقا منهم الى الانس فالفريقان شياطين الجن والانس بمعنى انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين اعداء
للنبي صلى الله عليه وسلم ولاوليائه من المومنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال يدل على صحته ان لفظ الاية
يقتضي اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا تكون الشياطين نوع مغاير للانس
والجن وهم اولاد ابليس وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض يعني يلقي ويسر بعضهم الى بعض ويناجي بعضهم
بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها لمن يريد اغواه فعلى القول الاول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم
الى بعض بما يفتنون به المومنين والصالحين وعلى القول الثاني ان اولاد ابليس يلقي بعضهم بعضا
في كل حين فيقول شياطين الانس لشياطين الجن اضللت صاحبي بكذا وكذا فاضلل انت
صاحبك بمثله ويقول شياطين الجن لشياطين الانس كذلك فذلك وحي بعضهم الى بعض وقوله زخرف
القول يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشي بالكذب وكل شيء
حسن مموه فهو زخرف غرورا يعني ان الشياطين يغرون بذلك القول المكذب المزخرف غرورا
وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني ادم ويغرونهم بها غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه يعني
ما فعلوا الوسوسة التي يلقونها الشياطين في قلوب بني ادم والمعنى ان الله تعالى لو شاء لمنع
الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم ان الاجزل
له في الثواب اذا صبر على المحنة فذرهم وما يفترون اي خلهم يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر
والمعاصي فاني من ورائهم قوله تعالى ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة قال ابن عباس ولتميل
اليه واصل الصغو في اللغة الميل يقال صغى الى كذا اذا مال اليه ويقال صغوت اصغو وصغيت اصغى
لغتان قال ابن الانباري اللام في ولتصغى متعلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا ذلك بهم كذلك لكي تصغى الى الباطل
افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحي تقديره يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول ليغروا بذلك ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة والضمير في اليه يرجع الى زخرف
القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله ومحبته وترضى به وهو قوله
وليرضوه يعني يرضون بذلك القول المزخرف الباطل وليقترفوا ما هم مقترفون يعني وليكتسبوا •

Copyright King Saud University